

بين عجوز الغابرين وعجوز الحاضرين (أتواصوا به؟ بل هم قوم طاغون)

صفر 1422 - مايو 2001

حدثنا القرآن العظيم عن عجوز في الغابرين ، كانت تحت نبي كريم هو لوط عليه السلام، غير أنها كانت من القوم الكافرين ، وكانت تعينهم على ما كانوا يفعلونه من الفاحشة التي ما سبقهم بها من أحد من العالمين ، حتى إنه قد جاء في الأثر أنه لما جاء الملائكة لوطاً في هيئة الضيف الكرام ((ذهبت عجوزه عجوز السوء ، فصعدت فلوحت بثوبها فأتاها الفساق يهرعون سراعاً ، قالوا : ما عندك ؟ قالت : ضيِّف لوط الليلة قوماً ما رأيت أحسن وجوهاً منهم ولا أطيب ريحاً منهم ، فهرعوا مسارعين إلى الباب ...))⁽¹⁾ ، فكان عاقبة أمرها أن نالها ما نال القوم الكافرين من الهلاك في الدنيا ، ويوم القيامة يقال لها : ادخلي النار مع الداخلين .

وفي عصرنا أيضاً عجوز سوء تدعى نوال السعداوي ، قد شابهت عجوز الغابرين في دعوتها للفحشاء وكفرها بالله ورسوله ، لكنها مع ذلك تدعي الإيمان والإسلام وأنها تفهم الدين خيراً من فهم المتحجرين المتزمتين ، الذين لا يعرفون فضيلة التجديد ويحاربون التنوير !

فقد سبق لهذه المرأة أن قالت : إنه ينبغي على كل فتى وفتاة يريدان الزواج أن يعيشا معاً فترة اختبار يتعاشران فيها معاشرة الأزواج ، فإن بدا لهما أنهما يصلحان للحياة الزوجية فلا بأس حينئذ من توثيق الزواج فقط من أجل عدم حدوث مشكلات قانونية في مسائل الأولاد ونحوها .

ومنذ سنوات ثارت في مصر ضجة حول قضية ختان الإناث حيث طالب البعض بسن قانون يمنع ختانهن ، فأيد البعض وعارض البعض ، وبينما القوم منهمكون في خلافهم

(1) أخرجه الطبري في التفسير (92/12) وابن أبي شيبة في مصنفه (31835) من حديث حذيفة موقوفاً عليه .

إذ خرجت عليهم هذه المرأة مطالبة بمنع ختان الذكور أيضاً، لأنه في نظرها وحشية تتنافى مع ما نحن فيه من التقدم والحضارة !

ومنذ فترة وجيزة نشرت لها إحدى الصحف القاهرية حواراً نفتت فيه جانباً من سمومها الحبيثة؛ حيث طالبت بمساواة المرأة بالرجل في الميراث، وقالت إن حجاب المرأة لا علاقة له بالإسلام، وحين سئلت عن أن العبادات لا تقبل بغير حجاب، قالت: ((يرحم الله رابعة العدوية لم تكن تحج ولا تصلي ولا تصوم، وكانت ضد الشعائر مع ابن عربي، والصوفية كلهم ضد العبادات ... الحج هو بقايا الوثنية ... لازم الناس تعرف إن الحج وتقبيل الحجر وثنية، والصوفية رفضوا أن يقبلوا الحجر الأسود إيه ده مين قال كده؟ أنا عقلي لا يسمح وأبويا عقله لا يسمح بهذا)) .

وعن الزواج قالت: ((الزواج كارثة وهو مؤسسة عبودية .. لأن الرجل يتصور أنه وصي على المرأة فلا تسافر إلا بإذنه ويطلقها كيف يشاء ويتزوج عليها كيف يشاء أربعة أما هي فلا تستطيع ... ولذلك أنا كنت ساذجة عندما تزوجت والحمد لله قدرت أخلع اثنين، لكن في الزواج الثالث كنت حريصة جداً مع (شريف) وشعرت أن ورقة الزواج لا قيمة لها وعملناها علشان أولادنا يبقوا شرعيين أمام القانون ورميناها)) .

إلى آخر ما ذكرته من السخافات التي لا يحتاج كفر قائلها إلى بيان؛ فقد أنكرت المذكورة ما هو معلوم من الدين بالضرورة واستهزأت استهزاء صريحاً سافراً بشرع الله تعالى، غير أن مفتي مصر لا يزال حسب ما نشرت مجلة آخر ساعة بتاريخ (25 /4/2001) ينتظر أن ترفع ضدها دعوى قضائية ليذهب هو إلى المحكمة - إن دعي إلى ذلك - وهناك يناقشها فإن أصرت على قولها فإنها تكفر حينئذ .

والحقيقة أنه من الناحية العملية لن ينبنى شيء على تكفير المفتي لها أو عدم تكفيره، لأنه ليس في مصر قانون يجرم الردة، وأقصى ما يمكن أن يتخذ ضدها من إجراء قانوني أن يرفع البعض دعوى تفريق بينها وبين زوجها - إن وافقت النيابة العامة على ذلك - ثم يحتاج الأمر لسنتين حتى يصدر في القضية حكم نهائي، وهب أنه قد صدر الحكم بالتفريق بينها وبين زوجها فما عسانا نفعل به وليس في القانون المصري ما يضمن تنفيذ هذه النوعية من الأحكام بالقوة الجبرية؟ وما الحل إذا كان زوجها مرتداً مثلها؟ وهو ما يظهر

من حاله حيث إنه لا يمكن أن يخفى عليه ما تعتقده من الضلال، بل إنه قد تزوجها وهو متفق معها على ما تراه في موضوع الزواج كما ذكرت في حديثها المشار إليه آنفاً .

وقد سبق أن صدر في مصر حكم بالتفريق بين نصر أبو زيد وزوجته، ولكن الحكومة بدلاً من أن تطالبه بتنفيذ الحكم سهلت له أمر الخروج من مصر بمعية امرأته -التي لم تعد امرأته - لا نكايَةً فيه، وإنما خوفاً عليه من هجمات من تسميهم بالإرهابيين .

إننا لا نستبعد أن يكون الأمر كله مدبراً؛ بأن تقول تلك المرأة ذلك الكلام فينبري بعض الغيورين لبيان باطلها أو رفع قضية ضدها، فتستغل الأبواق العلمانية ذلك في إظهارها على أنها مفكرة متحررة تعاني من اضطهاد المتزمتين المتخلفين، خصوصاً وأنه يقال إنها مرشحة لنيل جائزة نوبل لهذا العام، وقد بدأت هي بالفعل في تبني تلك النعمة؛ فقد صرحت مجلة آخر ساعة تعليقاً على ما أثير من رفع أحد المحامين قضية ضدها : ((لقد سبقني د. نصر حامد أبو زيد والبقية تأتي، فكل مثقف مستنير ينشر الوعي هو هدف مرصود لدعاوى التكفير المختلفة والملفقة لأنه يمثل أداة توعية تفتح عيون البسطاء على حقيقة أغراض التيار السياسي الطامح للسلطة باسم الدين)) .

بل إننا لا نستبعد أيضاً أن يخرج علينا بعد حين من يزعم أن تلك العجوز من المجددات الداعيات للإسلام الصحيح، خصوصاً وأنها تقول في الحوار المشار إليه : ((أنا والدي تخرج في الأزهر ودار العلوم والقضاء الشرعي ثلاث مدارس كبرى في الدين وعلمي الإسلام الصحيح))، وليس ذلك بمستغرب في ظل سيطرة العلمانيين على وسائل الإعلام في بلادنا، ولهذا الأمر سوابق كثيرة، واستمع معي لهذه الحكاية العجيبة التي أوردها كاتب يكتفي نفسه بأبي خلدون في صحيفة الخليج الإماراتية منذ فترة، فقد حمل ذلك الكاتب على الدعاة المتشددين الذين لا يحسنون -حسب زعمه -عرض الإسلام على الناس، ولما أراد أن يضرب مثلاً لداعية مستنير قال : إن الشيخ محمد عبده قد ذكر ذات مرة أنه كان هناك شاب مصري يدرس في جامعة السوربون، وكانت إلى جواره في مقعد الدرس فتاة فرنسية لا تفتأ تذكر الإسلام بكل سوء وتقول إنه دين تخلف ورجعية، ولكن الشاب المسلم ما زال يحدثها بطريقة سلسة ويبين لها الإسلام الصحيح حتى غيرت

فكرتها عن الإسلام، ثم ما زال بها حتى أسلمت، ثم تزوجها، قال : ولم يكن ذلك الشاب إلا الدكتور طه حسين ولم تكن الفتاة إلا زوجته السيدة سوزان .
ولسنا نريد أن نخوض مع الكاتب في بيان فساد أفكار طه حسين، فقد كان رجلاً متهماً في عقيدته بسبب ما كان يثيره حول الإسلام من شبهات خصوصاً بعد عودته من فرنسا محملاً بأفكار المستشرقين ضد الإسلام والمسلمين، غير أننا نريد أن نشير إلى أن هذا الكاتب لم يحسن حتى تلفيق حكايته؛ إذ أسندها إلى الشيخ محمد عبده الذي وافته المنية في العام 1905 الميلادي، في حين ولد طه حسن في العام 1889، أي أنه لم يكن عند وفاة محمد عبده يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وكان لا يزال طالباً في الأزهر يشغب على أساتذته على ما هو معروف لمن درس سيرته، لكن هكذا يفترون ولا يستحيون، والله في خلقه شؤون .

عبد الآخر حماد